مجلة الباحث
موقع المجلة: https://journals.uokerbala.edu.iq/index.php/bjh/

من مرويات الطبابة ؛ عند العرب ، والفرنجة ، في عصر الحروب الصليبية

ا.د.حسين كاظم حسون القطب
ا.د.محمد عبد الحسين الخطيب

معلومات الورقة البحثية

الكلمات الرئيسية:

الحروب الصليبية، الطب العربي الإسلامي، انتقال المعرفة، التأثير الحضاري، التفاعل الطبي بين الشرق والغرب

المستخلص باللغة العربية:

كانت للحروب الصليبية التي امتدت قرابة القرنين من الزمان (490هـ - 690هـ)، تأثير واضح في إطلاع الغرب الأوروبي ، على منابع الحضارة الإسلامية في اتجاهاتها المعرفية المختلفة ، ومنها المعارف الطبية ، بصورة أكبر ، وأدق ، وأعمق ، من ذي قبل... فقد شهدت الطبابة العربية الإسلامية المشرقية ، رقيّاً حضاريّاً ، ومدنياً واضحاً ، إبان العصور العباسية المتتابعة ، ومنها زمن الحروب الصليبية ؛ إذ امتازت تلك الطبابة بالكفاءة العلمية القائمة على الملاحظة ، والتجربة ، ومساحة مهمة من التشريح ، والوصف ، التشخيص الدقيق ، والعلاج المناسب المستند إلى العقاقير المستخلصة من بعض الحيوانات ، وأشربة الأعشاب المضادة للتعفن ، والالتهابات ، والمراهم الزيتية ، والكيميائية ، وإجراء بعض التداخلات الجراحية بآلات دقيقة - إن استوجب الأمر -... في حين اعتمدت الطبابة الغربية الإفرنجية في الحقبة نفسها على تعاليم الكنيسة، وأدعية الرهبان، وتعاويذ القساوسة، وبعض الإجراءات الطبية العملية المبتعدة عن سلطة الكنيسة وقتذاك ... وهذا كله كان مدار المبحث الأول من المرويات الواردة عن الجانبين.
أما تأثر الفرنجة الغزاة - حد المحاكاة - بالطبابة العربية المشرقية ، زمن الحروب الصليبية ، فقد كان مدار المبحث الثاني بأدلته ، ومروياته ، ونصوصه ، الصادرة عن الفريقين ... والحمد لله أولاً ، وآخراً

doi: https://doi.org/10.63797/bjh.

المقدمة

الحمد لله شافي البرايا بارئ النسمات ، والصلاة والسلام على نبينا محمد صاحب الدين القويم والرحمات ، وعلى اله التقاة الهداة ، وصحبه الاشراف أولي الباقيات الصالحات ، وبعد ،

فقد كان للحروب الصليبية التي امتدت قرابة القرنين من الزمان (492 هـ - 692 هـ)، تأثير بالغ في اطلاع الغرب الاوربي على موارد الحضارة الاسلامية ، في اتجاهاتها المعرفية المختلفة ، ومنها المعارف الطبية – بصورة اكبر ، وادق ، واعمق ، من ذي قبل .. وان جاء ذلك التأثير، والاطلاع ، عن طريق الغزو والصراع العسكري ، ضد العرب المسلمين ، فان اوقات السلم ، والصلح المؤقت ، بين الطرفين ، كانت كفيلة بإنشاء بعض جسور التواصل بينهما ، والتفاعل في شؤون عدة ، من قبيل ممارسة انشطة التجارة ، والبيع ، والشراء ، والتنقل بيـن الحواضر، والتعارف ، والتزاور بين الاصدقـاء الخصوم ، ومشاهدة مظاهر الحياة ، والعمران، والاستزادة من الفنون، والعلوم ، المختلفة (1) ، ومن بينها : علوم الطب ، والصيدلة ، والتمريض .

واظهارا لجانب الطبابة مما تقدم ، كانت الغاية من هذا البحث الموجز ، عرض عدد من مرويات الطبابة ، والتطبيب عند العرب المسلمين ، ومن تبعهم من المشارقة غير المسلمين ، وما يقابلها من مرويات الطبابة عند الاوربيين المسيحيين ، والغزاة الفرنجة ، إبان الحروب الصليبية الطويلة التي تعرضت لها حواضر مصر، وبلاد الشام ، وبيان طرف من مرويات التأثير والتأثر بين المنظومتين الطبيتين.

والحق ان كتب التراث العربي، ولاسيما كتب الطبابة ، والعقاقير ، والتاريخ ، والادب ، تزخر بأسماء عشرات الاطباء ، واصحاب الادوية ، المشارقة ؛ من العرب ، وغير العرب ، ومن المسلمين ، وغير المسلمين ، كما تستفيض بعرض كثير من مصنفات العلوم الطبيبة ، وتعداد المشافي المنتشرة في بقاع العالم الاسلامي آنذاك ، ووصف اماكنها ، واقسامها ، وأعمالها ، وأعمال القائمين عليها ، كل ذلك بالتوازي مع تهيئة البيئة الحاضنة المريحة للتقدم العلمي في هذا المضمار ، معززة بتقدير طبقات المجتمع الاسلامي لعلم الطب ، والممارسين فيه ، والتشجيع المعنوي ، والمادي لهم ، من لدن النخب الحاكمة وقتذاك ، مع اختلاف مسمياتها ، ومناصبها ، حتى تضافرت تلك الجهود جميعها ، على جعل الطبابة العربية الاسلامية المشرقية ، في مركز متقدم على مستوى العالم ، في ذلك الزمن.

وعليه تم تقسيم هذا البحث الموجز، على مبحثين ؛ بحسب طبيعة المرويات الطبية المرصودة ، والموضوعات المتصلة بها... اذ اشار المبحث الاول لماماً ، الى ابرز سمات الطبابة المشرقية العربية الاسلامية ، وسمات الطبابة الغربية الاوربية الصليبية ، والمرويات الواصلة الينا عن كل منهما ... فانكشف البون الملحوظ بينهما... ثم عرج المبحث الثاني بمروياته على جوانب من تأثير الطبابة العربية المشرقية ، في الفكر الغربي عموما ، وفي الطب الافرنجي خصوصا... كذلك عرج المبحث الثاني على بعض المرويات التي تشير الى اخذ العرب المسلمين ، شيئا من الممارسات العلاجية الافرنجية ابان تلك الحقب ... ومن الله التوفيق.

المبحث الأول: في سمات الطبابة المشرقية العربية الاسلامية ، وسمات الطبابة الغربية الاوربية المسيحية ، زمن الحروب الصليبية:

تتمتع الطبابة المشرقية العربية الاسلامية ، بحيوية المعرفة المثمرة ومواكبة التطور العلمي وامتدادته ، فقد تقوم على الملاحظة ، والتجربة ، والاختبار(2) ، والتشخيص ، ثم العلاج بالعقاقير، والادوية ، كالمراهم ، واشربة الاعشاب، والنباتات، التي لها القدرة على مكافحة الالتهابات ، والامراض الاخرى... ويمكن ان يتطلب علاج المريض ، او الجريح ، بعض التداخلات الجراحية التشريحية ، وهنا يصف الدكتور نبيه امين ، براعة العرب المسلمين في ابتكار ادوات دقيقة للجراحة واستعمالها اذا لزم الامر، وبخاصة ايام القتال ، بقوله: ((كانت جراحات ميدانية تجري على ايدي اطباء متمرسين في الجيش الزنكي ، والايوبي ، واستخدمت عقاقير ذات تأثيرات مضادة للتعفن، مثل الكافور، والصبار)) (3) وقطعا لابد لهذه العمليات ، ان تجري في مشاف او (بيمارستانات) ، مناسبة لهذا الغرض ، وغيره.

وقد مثلت المستشفيات في دمشق ، والقاهـرة ، في سنوات الحروب الصليبية ، ذروة التنظيم الطبي الاسلامي ، حتى شكلـت مصـدر الهـام ، لبعض مؤسسات الطبابة لدى الفرنجة (4)... ومن ابرز تلك المشافي : البيمارستان النوري في دمشق ، اذ كان بناء فسيحا ، يقيم فيه الاطباء العاملون ، فضلا عن المرضى ، وتخزن فيه الادوية بشكل علمي مدروس ، وتحفظ فيه الاطعمة المعدة للمرضى ، وللقائمين على المشفى ، ويعالج فيه الغني والفقير(5).

ومع المستشفيات العامة والجراحية ، في بلاد العرب ، والمسلمين ، انشئت اقسام تعنى بعلاج المجانين ، ورعايتهم ، ولقد تحدث الرحالة ابن جبير(ت 614 هـ) حين زار القاهرة ، عن مستشفى بناه السلطان ، كأنه قصر في سعته ، ورفاهيته ، وتنوع اعمال العاملين فيه ، يداوى فيه المرضى من الجنسين ، ضمن اقسام متخصصة مستقلة ، وبحسب الحالات المرضية كما يعالج فيه المجانين، ضمن قسم محدد لهم ، مع الرعاية الطبية والخدمية الشاملة لكل الاقسام ... قال ابن جبير:((ووما شهدناه ايضا من مفاخر هذا السلطان ، المارستان الذي بمدينة القاهرة ، وهو قصر من القصور الرائعة حسنا ، واتساعا ، ابرزه لهذه الفضيلة تاجر... عين فيه قيما من اهل المعرفه ، ووضع لديه خزائن العقاقير، ومكنه من استعمال الاشربة ، واقامتها على اختلاف انواعها ، ووضعت في مقاصير ذلك القصر، أسرة يتخذها المرضى مضاجع كاملة ، وبين يدي ذلك القيم ، خدمة ، يتكفلون بتفقد احوال المرضى بكرة ، وعشية ، فيقابلون من الاغدية ، والاشربة ، بما يليق بهم ، وبإزاء هذا الموضع مقطع للنساء المرضى، ولهن ايضا ما يكفلهن ، ويتصل بالموضعين المذكورين، موضع اخر متسع الفناء، فيه مقاصير عليها شبابيك الحديد، اتخذت محابس للمجانين ، ولهم ايضا من يتفقد في كل يوم احوالهم ، ويقابلهم بما يصلح لهم ، والسلطان يستطلع هذه الاحوال كلها بالبحث والسؤال ، ويؤكد الاعتناء بها، والمثابرة عليها ، غاية التأكيد)) (6) .

وبلغت المارستانات في الحواضر العربية والاسلامية بعامة ، وفي مدن مصر، وبلاد الشام بخاصة ، غايتها من الدقة ، والتنظيم ، اذ قسمت – على وجه الاجمال – على اقسام بحسب انواع الامراض ، فقسم للامراض الداخلية والباطنية ، وقسم لتجبير الكسور، وثالث للعيون، ولكل قسم طبيب ، او اكثر ، وعليهم رئيس ، وبعض المستشفيات الواسعة تضم بستانا كبيراً لنقاهة المرضى، ياتي اليه الموسيقيون ليعزفوا الحانا تساعد في تحسين نفوس المرضى ، ومن ثم التعجيل بشفائهم سريعا ، وبعد زوال عللهم ، تلبسهم ادارة المستشفى ، ثيابا جديدة معدة لخروجهم (7).

ويعرف رئيس المستشفى(بالساعور) ، والممرضون بـ (الظلمان) ، والعاملون في المستشفى بـ(الخدمة) ، ويناط التفتيش على المارستانات، ومخازن الادوية الملحقة بها ، بصاحب الحسبة (8).

اما الطب الفرنجي زمن الحروب الصليبية ، فقد كان مرتبطا بصورة وثيقة بالكنيسة المسيحية ، وتعاليمها ، وطابعها الديني المتزمت غير الواقعي... فقد اعتقد رجال الكنيسة ، أن المرض أصلا، عقاب الهـي يقع على الذيـن يرتكبون الذنوب ، والمعاصي ، ولابد والحالة هذه ، من علاج الروح قبل الجسد (9) ، ولاينبغي للاطباء معالجة المرضى ، او الجرحى ، من دون الالتزام بتعاليم الكنيسة اولا (10) ، وهي الايمـــان بالتعاويذ ، والمعتقدات الدينية الغيبية ، والمعجزات الشفائية ، والاساليب الشعبية البدائية (11) ، مع غياب لافت للتدريب المنهجي ، والممارسات التشخيصية الدقيقة التي يفترض ان يقوم بها الاطباء ، والعزوف عن اختبارهم ، وعن ترخيص الناجحين منهم ، لمزاولة اعمال الطبابة ، ثم حرم على الرهبان ، والمرضى ، التطبب باي عقار ، او دواء ، او اجراء التداخلات الجراحية دون اذن مسبق لأن ذلك ينافي تعاليم المجمع الكنسي المقدس (12) ، واقصى ما كان مباحا عندهم بحسب الضرورة في ذلك الوقت ، بعض الاشربة العشبية او النباتية (13) ، وكي الجروح بالحديد المحمى ، وبتر الاطراف دون الاستعانة بادوات دقيقة في البتر(14) ، وعدم استعمال مضادات التعفن والالتهاب .

فمن الشواهد المروية في خصائص الطبابة الغربية الفرنجية ابان الحروب الصليبية ، ان المجمع الكنسي الذي عقد سنة (895 م) في مدينة نانت ، بفرنسا ، الزم الكهنة ان يرشوا الماء المقدس على مرضاهم ، ومشاركتهم الصلاة ، ومن ياخذ الدواء دون موافقة رجال الدين ، يجرم كنسيا ، لان في ذلك تهديد لخلاص روحه (15) ، وفي رواية مقاربة لما ذكر تقول ((كان الرجال المثخنون بالجراح النازفة ، ينتظرون في صفوف طويلة استعدادا للتقرب من سر الاعتراف ، والاقرار بخطاياهم ، وتناول خبز القربان ، قبل ان يسعفوا اسعافا اوليا)) (16).

وروى لنا الامير اسامة بن منقد (ت 584 هـ) ، وقد كان شاهدا على عصره ، ان طبيبا صليبيا شق جمجمة مريض لاخراج الجن منه ، ماتسبب في مقتله (17).

وفي رواية اخرى له ، تدل على جهل الاطباء الصليبين بمعارف التطبيب الخاصة بالجراحة وعدم استعمالهم للآلات الدقيقة المناسبة لهذا الغرض ، قال اسامة بن منقد (ت 584 هـ) ((ان صاحب القنيطرة ، وهو من امراء الفرنجة ، طلب الى عمي ، ان يرسل اليه بطبيب عربي ، فأرسل اليه طبيبا ، يقال له ثابت فما غاب عشرة ايام حتى عاد ، فقلنا: } ما اسرع ما داويت المرضى؟{ قال: } احضروا عندي فارسا قد طلعت في رجله دملة ، فعلمت للفارس لبيخة ، ففتحت الدملة ، فجاء طبيب افرنجي فقال:]هذا مايعرف شيئا يداويه[، وقال للفارس:]ايهما احب اليك ! تعيش برجل واحدة ؟ او تموت برجلين[فقال:]اعيش برجل واحدة[فقال :]احضرو لي فارسا قويا وفأسا قاطعا [فحضر الفارس ، وضربه ضربة واحدة ، فلم تقطع ، فضربه مرة اخرى ، واخرى ، حتى تم ذلك ، فمات الفارس من ساعته[))(18).

وكشف في مروية ثالثة له ، عن قتل قس ، مريضا يتعذب ، مطبقا قاعدة الموت الرحيم -من نحو ما يراه القس - لتخليص المريض من اوجاعه ، بدلا من بذل الجهد في علاجه ما امكن ذلك ، او ترك امر تطبيه للمهرة من الاطباء ، قال اسامة بن منقذ (ت 584 هـ) : ((ومن عجيب طبهم ، ما حدثنا به (كليما ديور) ، صاحب طبريه ، وانا معه... فقال : } كان عندنا في بلادنا ، فـارس كبير القدر، فمرض ، واشـرف على الموت ، فجئنا الى قس من قساوستنا ، قلنا تجيء معنا حتى تبصر الفارس فلانا ؟!) قال] نعم [فمشى معنا ونحن نتحقق، انه اذا حط يده عليه ، عوفي ، فلما راه قال :] اعطوني شمعا [فاحضرنا له قليلا من الشمع ، فلينه ، وعمله مثـل عقد الاصبع ، وعمل كل واحدة في جانب من انفه ، فمات الفارس . فقلنا له : قد مات ، قال] نعم ! كان يتعذب ، سددت انفه ، حتى، يموت ويستريح {[))(19).

والمحصلة من الشواهد السابقة ، يتبين لنا الاختلاف الكبير بين المنهجين الطبيين، العربي الاسلامي ، والغربي الفرنجي ، في عصر الحروب الصليبية ، فحينما كان المنهج العربي الاسلامي في الطبابة ، يبنى على الملاحظات الدقيقة ، والتجارب المتعددة ، والمعالجات الواقعية الناضجة ، وهذا ما اكده الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور(20)

، كان المنهج الغربي الصليبي ، يعتمد بالدرجة الاســاس ، على الاساليب الغيبية الروحانيــة الكنسية ولا يركن كثيــراً الــى المنهج العلمي الواقعي الذي اعتمده الاطبــاء المسلمون القدامى امثال الرازي وابن سينا (21).

المبحث الثاني : من صور التأثير ، والتأثر ، بين العرب ، والفرنجة ، في ميدان الطبابة ، زمن الحروب الصليبية:-

مر في المبحث السابق ، الحديث بايجاز ، عن تفوق العرب على الفرنجة ، في ميدان الطبابة ، زمن الحروب الصليبية ، فكانت لذلك لتفوق اهمية بالغة في اعجاب الاوربيين بطبابة المشارقة المسلمين باديء الامر ، ثم باستمرار التواصل وادامته بين الطرفين ، اوقات السلم ، والحرب ، تأثر الاوربيين الغربيون ، بسبل معالجة الاطباء المشارقة العرب ، العلمية، للمرضى ، والجرحى ، فاخذوا بالانتفاع منها ، ثم تطور الامر عند جمع منهم ، الى تقليد تفاصيــل منهجية العرب ، في الطبابة ، واقتنــاء المخطوطات الطبيبة العربية . ونقلها الى بلدانهم ، أو ترجمتها داخل حصونهم في الاراضي العربية المحتلة ، (22) وقد توسع فريق اخر منهم ، الى محاكاة المسلمين في بناء المستشفيات ، وعمارتها ، وتحديد اقسامها الطبية ، ومهام الفئات المتخصصة العاملة فيها ، وقد حصل ذلك في مدن بلاد الشام المحتلة ابان العدوان الصليبي ، كما حصل في بعض مدن الغزاة الاوربية خارج البيئة العربية . وقد لعبت هذه المنشات والمؤسسات العلاجية القائمة على الفكر الاسلامي في الطبابة دوراً كبيراً في نقل اوربا فيما بعد ، من دول متخلفة طبيا ، وعلاجيا ، الى دول تنافس العرب (23) .

ومن الشواهد المروية على ماذكر: ان الاب (ليفوم) مع لفيف من تجار (امالفي) الايطالية ، حين كانوا في نشاط تجاري في بلاد المشرق العربي ابان الحملات الصليبية ، بادروا الى اقامة اللبنة الاولى في بناء مشفى على غرار ماكان عند العرب المسلمين ، عرف بمشفى (القديس يوحنا) (24) ، في بيت المقدس ، اذ ادرك هؤلاء ماكان يعانيه مرضى الصليبيين ، وجرحاهم ، من ضعف الرعاية الطبية ، عندهم ، وما كان ما يقاسيه الحجاج المسيحيون من امراض ، واصابات وهم في طريقهم الى اماكن الحج في فلسطين ... فاتفق هؤلاء التجار مع الدولة الفاطمية ، على تأسيس مشفى يعتمد خبرة الاطباء الفاطميين في رعاية المرضى ، والفقراء ، والجرحى (25) ، ثم اصبح (جيرارد) اول مسؤول عنها (26) ، ولقد عملت القيادة الصليبية في مملكة بيت المقدس ، على تطوير هذه المستشفى نوعا ما ، فبعد انتخاب (جودفري) حاكماً لبيت المقدس ، قام بزيارتها واقر بعض الاملاك لهيأة الاسبتارية ، وقد اوقفها لحساب المستشفى (27) . وفي مروية اخرى ، يؤكد (وليم الصوري) كبير مؤرخي الحروب الصليبية ، ان ملــوك اوربا الغزاة داخل البلاد العربية ، اعطوا ثقتهم للاطباء المشارقة ، المسلمين ، والسريان المسيحيين ، ليكونوا نواة لتقدم الطبابة عندهم ، وذلك على حساب الاطباء اللاتين الصليبيين ، اذ قال وليم الصوري: ((كان امراؤنا يحتقرون الاطباء اللاتين ، ولايثقون في مقدرتهم ، ويؤمنون بكفاءة اليهود ، والسريان ، والمسلمين ، في بلاد الشام فقط)) (28) .

ولعل من اشهر الاطباء المشارقة العرب الذين عالجوا امراء اوربا ، وملوكها الصليبيين : الطبيب ابو سليمان ، والطبيب داود بن ابي ، وتفيد المروية ان هذين الطبيبين ، وابناءهما قد خدما بالطب ، ملك بيت المقدس (عموري الاول) حتى صاروا جميعا من المقربين لديه ، ومن بعده الملك (بلدوين المجذوم) ، الذي قرب احد ابنائهم ، واطلق عليه لقب (فارس) ، لإسهامه في علاج الملك من الجذام ، وبقي الطبيب في خدمته ، حتى ظهرت علامات انهيار مملكة بيت المقدس ، بيد المسلمين ، فرحل الطبيب الى صلاح الدين الايوبي ، وبشره بفتح القدس ، وبقي في خدمة بني ايوب (29) ، وفي تفصيل اخر لمحتوى المروية نفسها ، قال ابن ابي أصيبعة (ت 668 هـ) ، في الطبيب ابي سليمان : ((كان طبيبا نصرانيا بمصر ، في زمن خلفاء بني فاطمة ، وكان حظياً عندهم ، فاضلا في الصناعة الطبية ، خبيرا بعلمها ، وعملها ، متميزا في العلــوم ، وكان من اهل القدس ، ثم انتقل الى الديــار المصرية ، وكانت له معرفة بالغة بأحكــام النجوم ، حدثني الحكيــم رشيــد الديــن ابو حليقة بن الفارس بن ابي سليمان ... قال سمعت الامير مجد الديــن ، اخا الفقيه عيسى ، وهو يحدث السلطان الملك الكامل ، ... عند حضوره ، قائلا : } كان الحكيم ابو سليمان في زمن الخلفاء ، وكان له خمسة اولاد ، فلما وصــل الملك مارس ، الى الديــار المصرية ، اعجبه طبه ، فطلبه من الخليفة ، ونقله هو واولاده الخمسة ، الى بيت المقدس ، ونشأ للملك مارس ولد مجذوم ، فركب له الترياق الفارقي في بيت المقدس{)) (30) .

لقد كان (وليم الصوري) - احد اهم مؤرخي الحروب الصليبية قديما – واضحا في ملاحظة تفــوق الاطبــاء المشارقة المسلمين على الاطباء الفرنجــة ، في اثناء وجوده في القدس (31) ، وقد اكد طلب الملك بلدوين الرابع ، من احد الاطباء المسلمين علاجه من مرض الجذام (32) ، لان الحاجة الى الاطباء العرب المسلمين القدامى ، كانت ضرورية ، ومطلوبة ، لاهتمامهم على سبيل المثال ، بدقة الفحص لغرض التشخيص الدقيق ، كفحص النبض ، ودقات القلب ، وتحليل الادرار ، وتسجيل الملاحظات البصرية ، والشهادات الطبية ، في العلل النفسية ، والامراض الجسدية ، والجراحات المختلفة ، في دفاتر خاصة (33) معدة لهذا الغرض ، فقد ذكر اسامة بن منقذ (ت584 هـ) في مشاهداته ، وقتذاك ، ضمن كتابه الشهير (الاعتبار) ؛ ان احد الفرنجة ، كــان يــوده كثيرا ، ويكــن له احتراماً ، ويسمح له بدخول داره ، والتجول فيه ، دون حجاب لنسائه ، على الرغم من خلاف

الدين ، والهوية ، بينهما ، وهو امر قليل الحدوث في زمن الحروب الصليبية ... ثم طلب ذلك الافرنجي – يوما – منه ، علاجا لزوجته(34) ، ثقة منه بقراءات ابن منقذ الطبية ، ومعارفه ، فأعطاه ما اراد .

والاكثر من هذا ، ان لا نستغرب ، حين نعلم ان جمعا من الاوربيين ، المحبين للمعرفة الطبية العربية انذلك ، كانوا يفدون على دمشق ، وطرابلس ، وغيرها من مدن الشام ، لدراسة الطب من جهة ، وللاطلاع على ما يستوجب في بناء المشافي هندسة ، وعمرانا ، ونظما ، واقساما ، وعمالا مهرة من جهة اخرى ... ثم حثّ هؤلاء البابا (انوست الثالث) على اقامة المشافي ، فبادر سنة (1204 م) الى انشاء مستشفى في روما ، على غرار ماكان موجودا في طرابلس ، عرف بمستشفى (الروح القدس) (35) ، ثم اعقب هذا ، بناء مستشفيات اخرى في مختلف المدن الاوربية .

ولاينبغي لنا ان نبخس في هذا المبحث ، حق الجانب الاخر ، وذلك في انتفاع العرب ، من بعض معالجات الاطباء الفرنجة ، المستترين من قساوة الكنائس ، ورجال الدين ، خوفا منهم ، بسبب اظهار معارفهم في الطبابة ، والبعيدة عن التعاويذ الكنسية الغيبية ... والنص رواه لنا اسامة بن منقذ (ت 584 هـ) قائلا : ((ومن عجيب طبهم ، انه كان عندنا بشيزر ، صانع يقال له (ابو الفتح) ، له ولد ، قد طلع في رقبته جنازير ، وكلما ختم موضع ، فتح موضع اخر ، فدخل انطاكيا في شغل له ، وابنه معه ، فرآه رجل افرنجي ، فسأله عنه فقال : { هو ولدي } ، قال : { تحلف لي بدينك ، ان وصفت لك دواءً يبرئه ، لا تأخذ من احد تداويه به اجرة ... ؟ { فحلف – فقال له : } تأخذ له اشاناً غير مطحون ، تحرقه ، وترميه بالزيت ، والخل الحاذق ، وتداويه به ، حتى يأكل الموضع ، ثم خذ الرصاص المحرق ، ورتقه بالسمن ، ثم داويه ، فهو يبرئه ، فداواه بذلك ، فبرئ ، وختمت تلك الجراح ، وعاد الى ماكان عليه من الصحة ، وقد داويت بهذا الدواء ، من طلع فيه هذا الداء فنفعه ، وازال ماكان يشكوه {)) (36).

وعلى عموم ما كتب ، اظهر المبحث الثاني ، انبهار الفرنجة الصليبيين ، بالطبابة الاسلامية المشرقية ، ثم تأثرهم بها ، ومحاكاتهم لها ، ابان الحملات الصليبية ، سواء أكان ذلك من خلال الاستعانة بالأطباء العرب المشارقة ، واستعمال علاجاتهم الدقيقة النافعة ، او عبر اقتناء المصادر الطبية الاسلامية المشهورة في ذلك الزمان (37) ، او من خلال تشييد المستشفيات النموذجية ، وحسن ادارتها ، وتوفير متطلباتها اللازمة ، على مثال المستشفيات العربية الاسلامية في حواضر مصر ، وبلاد الشام ، آنذاك.

الخاتمة:

يمكن ان نوجز اهم النتائج التي خرج بها هذا البحث ؛ في النقاط الثلاث الآتية:

أولا:- شهدت الطبابة العربية الإسلامية المشرقية ، رقيا حضاريا ، ومدنيا واضحا ، ابان العصور العباسية المتتابعة ، ومنها : زمن الحروب الصليبية ؛ اذ امتازت تلك الطبابة بالكفاءة العلمية القائمة على الملاحظة ، والتجربة ، وعلى مساحه مهمة من التشريح ، والوصف ، والتشخيص الدقيق ، ثم العلاج المستند الى العقاقير ، والادوية المستخلصة من بعض الحيوانات ، والنباتات ، واشربة الاعشاب المضادة للعفونة ، والالتهابات ، والمراهم الزيتية ، والكيميائية ، الخاصة بالبشرة ، والجلد ، وغير ذلك كالعلاج النفسي ، والرياضي ، وفي بعض الاحيان، وللضرورات ، اجراء شيء من التداخلات الجراحية المرتكزة على الآلات ، والادوات الدقيقة ، والمناسبة للحالات المرضية الموصوفة .

ومن نافلة القول ؛ الاشارة الى ان التقدم الملحوظ في ميدان الطب العربي المشرقي - كما في غيره من الميادين العلمية الاخرى - في زمن الدولة العباسية ، ما كان له ان يتم ، لولا همة المتخصصين فيه ، ونزاهتهم ، ونبوغهم ، في تحصيل المعارف الطبية ، وممارستها ، وبخاصة بعد الترجمات العربية الكثيرة للكتب اليونانية ، والفارسية ، والهندية ، في الطب ، وغيرها من العلوم المساعدة ، ثم قراءتها ، وتمحيصها ، واستعمال الصالح منها ، على نحو لا يتعارض والتشريع الاسلامي ، ويقدم الفائدة المرجوة في الوقت نفسه.

ثانيا :- اعتمدت الطبابة الغربية الافرنجية في عصر الحروب الصليبية، على تعاليم الكنيسة ، وادعية الرهبان ، وتعاويذ القساوسة ، وبعض الاجراءات الطبية العملية ، غير المتصلة بالأساليب الغيبية ، وقد نهضت بها ، ثلة من الاطباء ، ورجال الدين الجيدين في الطبابة ، سرا ، بعيدا عن عيون الكنيسة المتسلطة آنذاك.

ثالثا:- تأثر الفرنجة الغزاة للبلاد العربية كثيرا ، في عصر الحروب الصليبية ، بصناعة الطبابة العربية ، ايما تأثير ، وصل الى حد المحاكاة ، وذلك ضمن ثلاثة اتجاهات ، الاتجاه الأول: الاستعانة بالأطباء العرب المشارقة

المهرة في عـلاج الإمراض ، والإصابات المختلفة ، والالتزام الدقيق بالأطعمة ، والأشربة ، والمراهم التي يصفها هؤلاء الاطباء ، للمرضى من الملوك ، والأمراء ، والقادة ، والعوام ، وجرحى الحروب ، وغيرهم .

ولقد كان بعض ملوك الفرنجة في هذا الشأن ، سخيا في إكرام الاطباء المعالجين العرب ؛ ماديا ، ومعنويا ، وتوفير وسائل الراحة ، والضيافة الكريمة لهم ، وحثهم على الإقامة في قلاعهم مدة أطول.

الاتجاه الثاني: اقتناء المخطوطات العربية الشهيرة في الطب ، الصيدلة ، ونقلها إلى بلدانهم الأوروبية ، أو ترجمتها داخل حصونهم ، للعمل بها ، والانتفاع منها .

والاتجاه الثالث: انشـاء المستشفيات في أوربا ، والمدن المختلفة ، علـى سمت المستشفيات العربية ، وسماتها ؛ في الهندسة ، والتشييد ، والتنظيم ، والإدارة ، والخدمة ، والاستطباب.

وبمعرفة هذه الاتجاهات المذكورة ألموثقة بالمرويات العربية ، والغربية ، تتعزز القناعة ان رأي عدد من الباحثين الغربيين ، في انحصار أهداف الحملة الصليبية بالقتال ، والسيطرة على المدن العربية ، دينيا ، واقتصاديا ، دون التأثر بالطبابة العربية المشرقية ، رأي يجانب الصواب ، ويتجاهل المرويات الكثيرة في هذا الموضوع ، وبالمقابل ، تأكيدا لبعض المرويات المدونة في كتب التراث ، فقد استخدم لفيف من الاطباء العرب المسلمين ، بعض وسائل العلاج الافرنجية لتطبيب الامراض ، والقروح ، والجروح ، بما يلائم ، ويفيد ، وأخيرا يوصي البحث بدراسة الترابط الوثيق بين الطبابة العربية القديمة ، والنثر العربي القديم ، بالتزامن مع دراسة تاريخ الطب العربي المشرقي ، ومتابعته بعمق ، والحمد لله اولا ، واخرا .

الباحثان

الهوامش

1) يُنظر على سبيل المثال ، لا الحصر - بعض مظاهر التواصل بين العرب ، والفرنجة ، إبان الحروب الصليبية ، في / الاعتبار/220/ وفي /الحروب الصليبية بين الشرق ، والغرب /372.

2) يُنظر - مثلاً - الحروب الصليبية ؛ دراسات تاريخية ، ونقدية /112، 113.

3) انتقال الطب العربي الى الغرب ؛ معابره ، وتأثيره / 89.

4) يُنظر - مثلاً - أثر العرب ، والإسلام ، في النهضة الأوربية /285.

5) يُنظر- الاعتبار /162.

6) رحلة ابن جبير/26.

7) يُنظر - مثلاً - المجتمع الإسلامي في بلاد الشام ، في عصر الحروب الصليبية /159.

8) يُنظر مثلاً - رحلة ابن جبير/23.

9) يُنظر - مثلاً - الحروب الصليبية بين الشرق ، والغرب /372.

10) يُنظر - مثلاً – شمس العرب تسطع على الغرب /222، 223.

11) يُنظر - مثلاً - الطب ، والصيدلة ، في العصر الإسلامي/145، 146، 147.

12) يُنظر - مثلاً – شمس العرب تسطع على الغرب /225.

13) يُنظر - مثلاً - الحروب الصليبية ؛ دراسات تاريخية ، ونقدية /112، 113.

14) يُنظر - مثلاً - رأي فوشيه عند حصار انطاكية في/ تاريخ الحملة الصليبية الأولى/ 212/1/.

15) يُنظر - مثلاً - أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوروبي ، خلال الحروب الصليبية /122.

16) يُنظر المرجع نفسه /121.

17) يُنظر الاعتبار /220.

18) المصدر نفسه /220.

19) المصدر نفسه /137 - 138.

20) يُنظر - مثلاً - رأي الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، في وجود التفاوت الملحوظ بين المنهجين الطبيين؛ العربي الإسلامي ، والافرنجي الصليبي في/ تاريخ الحروب الصليبية /370.

21) يُنظر - مثلاً - دراسات في التاريخ الإسلامي ، والحضارة الإسلامية /284.

22) يُنظر - مثلاً - المرجع نفسه /284.

23) يُنظر - مثلاً - أثر العرب ، والإسلام ، في النهضة الأوروبية /285.

24) تُنظر - مثلاً - التفصيلات فيما شاهده ، واطلع عليه ، (الرحالة المسلم ناصر خسرو) ، والمذكورة في كتابه / (سفر نامه) /57.

25) تُنظر - مثلاً - التفاصيل / في / الحروب الصليبية / وليم الصوري /831، 832، 833.

26) يُنظر - مثلاً - الأوضاع الاجتماعية في فلسطين ، زمن الحروب الصليبية (492هـ - 690هـ) / (1099م - 1291م) /272.

27) يُنظر - مثلاً - المرجع نفسه /272/ ويُنظر كذلك/ تاريخ الحروب الصليبية / 161/1.

28) النص في / تاريخ الحروب الصليبية / ترجمة حسن حبشي / 161/١.

29) تنظر - التفاصيل - مثلاً - في / المدنية الإسلامية ، وأثرها في الحضارة الأوربية / 146.

30) عيون الأنباء في طبقات الأطباء / ١ / ٥٨٧ ـ ٥٨٨.

31) يُنظر - مثلاً - تاريخ الأعمال في ما وراء البحار / ٢ / ١٣١.

32) يُنظر - مثلاً - تاريخ الأعمال في الأرض المقدسة (١٠٩٥-١١٨٤م) / ٢ / ٦٣٥.

33) يُنظر - مثلاً - تاريخ الأعمال في ما وراء البحار / ٢ / ١٣١/ ويُنظر كذلك - مثلاً - الحروب الصليبية ؛ دراسات تاريخية ، ونقدية / ١٣٨.

34) يُنظر الاعتبار / ٢٢٠.

35) يُنظر - مثلاً - أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوروبي ، خلال الحروب الصليبية / ١١٩ ، 120 ، وما بعدها.

36) الاعتبار / ١٣٤.

37) يُنظر - مثلاً - دراسات في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية / 284 وما بعدها.

38) يُنظر المرجع نفسه / 284 ، وما بعدها.

المصادر والمراجع:

- أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوروبي ، خلال الحروب الصليبية / عبد الله بن عبد الرحمن الربيعي / ط ١ / الرياض / ١٩٩٤م.
- أثر العرب ، والإسلام ، في النهضة الأوروبية / محمد كامل حسين / الهيأة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر.
- الاعتبار: أسامة بن منقذ الكناني الشيزري (ت ٥٨٤ هـ) / دقق نصوصها ، وفصّل فقرها ، وقدّم لها ، وعلّق عليها د. عبد الكريم الأشتر / ط ١ / المكتب الإسلامي / ٢٠٠٣م.
- انتقال الطب العربي الى الغرب ؛ معابره ، وتأثيره / محمود الحاج قاسم محمد / دار النفائس /1999.
- الأوضاع الاجتماعية في فلسطين زمن الحروب الصليبية (٤٩٢ هـ - ٦٩٠ هـ) (١٠٩٩م - ١٢٩١م)/ حسام حلمي يوسف الأغا / رسالة ماجستير مقدمة لقسم التاريخ والآثار / بكلية الآداب / الجامعة الإسلامية / غزة / ٢٠٠٧م.
- تاريخ الأعمال في الأرض المقدسة (١٠٩٥م - ١١٨٤م)/ وليم الصوري / ترجمة د.سهيل زكار / دار الفكر / دمشق / ١٩٩٣م.
- تاريخ الأعمال في ما وراء البحار/ وليم الصوري / ترجمة سليم عبد الرحمن / دار الكتاب الجديد / بيروت / ١٩٩٠م.
- تاريخ الحروب الصليبية / د. سعيد عبد الفتاح عاشور / ط4 / دار النهضة العربية / القاهرة / 1991.
- تاريخ الحملة الصليبية الأولى / فوشيه / ترجمة د. سهيل زكار / دار الفكر/ دمشق / 1990.
- الحروب الصليبية / وليم الصوري / ترجمة حسن حبشي / الهيأة العامة للكتاب / 1992.
- الحروب الصليبية بين الشرق ، والغرب / عبد الهادي مؤنس / ط1 / عين للدراسات والبحوث الانسانية / القاهرة.

- الحروب الصليبية ، دراسات تاريخية ، ونقدية / محمد مؤنس عوض / ط1 / دار الشرق/ عمان / الأردن / 1999.
- دراسات في التاريخ الإسلامي ، والحضارة الإسلامية / عبد العزيز الشناوي / مكتبة الأنجلو مصرية.
- رحلة ابن جبير (ت 614 هـ) / دار الهلال / بيروت.
- سفر نامه / ناصر خسرو (ت 481 هـ) / تحقيق يحيى الخشاب / ط3 / دار الكتاب الجديد.
- شمس العرب تسطع على الغرب ، او (اثر الحضارة العربية في اوربا) / زيغريدهونكه/ ترجمة فاروق بيضون ، وكمال الدسوقي / ط1/دار الجيل/بيروت/1993.
- الطب العربي ، وتأثيره في الغرب / مكتبة النهضة المصرية/ القاهرة / 1965.
- الطب ، والصيدلة ، في العصر الإسلامي/ ميخائيل عيسى/ دار المشرق / بيروت / 2003م.
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء / ابن أبي أصيبعة (ت 668 هـ) / تحقيق نزار رضا/ مكتبة الحياة / بيروت.
- المجتمع الإسلامي في بلاد الشام ، في عصر الحروب الصليبية / أحمد رمضان محمد / ط1 / مكتبة الإسكندرية / 1977.
- المدنية الإسلامية ، وأثرها في الحضارة الأوربية / د. سعيد عبد الفتاح عاشور / ط1 / دار النهضة العربية / القاهرة / 1963.

المستخلص باللغة الانكليزية

---

he Crusades, which extended for nearly two centuries (490–690 AH / 1096–1291 CE), had a clear impact in exposing Western Europe to the sources of Islamic civilization in its diverse intellectual orientations—most notably in the field of .medical knowledge—more extensively, accurately, and profoundly than ever before

Eastern Arab-Islamic medicine experienced remarkable civilizational and urban advancement during the successive Abbasid eras, including the period of the Crusades. It was distinguished by scientific competence grounded in observation and experimentation, as well as by significant engagement with anatomical study, detailed description, precise diagnosis, and appropriate treatment. Therapeutic practices were based on medicinal compounds derived from certain animals, herbal preparations with antiseptic and anti-inflammatory properties, oily and chemical ointments, and—when necessary—the performance of surgical interventions using .precise instruments

In contrast, Western Frankish medicine during the same period largely relied on Church teachings, the prayers of monks, the incantations of priests, and certain practical medical procedures that operated at a distance from ecclesiastical authority at that time. All of this constituted the focus of the first chapter, which examined the .transmitted accounts from both sides

As for the influence of Eastern Arab medicine on the invading Franks—reaching the level of emulation—during the Crusades, this formed the subject of the second chapter, supported by its evidences, narratives, and textual sources issued by both parties.